مـظهر حيـادي (وأقول مـظهر فحسب) وأن صـوت الكاتب يصبـح في هـذه الحـالـة ضـمنيـاً Implicite ولا يمكن التعرف إليه أو تحديده إلا عند إتمام التحليل الروائي، ومُنَـاقَشَةِ الـرواية من حيث حواريتها أو تعددية الأصوات فيها، فلا بد أن تتكشف لنـا هذه الحـوارية الحيـادية عن موقف عميق، وهو موقف صاحب الإرسالية ـ وهو الكاتب ـ. وما دام «باختـين» يرفض أن يتجـه للبحث عن رأي الكاتب، ويُبْقِي عـلى الطابـع التناصي فحسب للروايـة بـاعتبـاره مجسداً للإديولوجي الواقعي فهو في حقيقة أمره هنا، لا يحتفظ إلا بالبنية الداخلية للعمل.

وإذا كـان «غولـدمان» يُبْقِي عـلى البنية، فهـو إبقاء مـرحـلي ينتقـل بعـده إلى ربط البنيـة بالإديولوجي، أما «باختين» فهو يجعل الإديولوجي حالاً في البنية الروائية، ولذلك فهو يعفي نفسـه من إعادة ربط البنيـة في دلالتها العـامة ـ وأقـول دلالتهـا العـامـة ـ بـالنبيـة الثقـافيـة والإديولوجية. وهنا أريد أن أوضح مسألة شديدة الأهمية:

إن «باختين» في الواقع لا يتحدث إلا عن شيء واحد، وهو الإديولـوجيا كـمادة لبناء عـالم الرواية، ذلك أن البنية الروائية لا تُؤَسَّسُ عن طريق الصور البلاغية والكلمات، ولكن أيضـاً عن طريق الوحدات الدلالية، وهذا هو السبب الذي جعل كثيراً من الـدارسين الشكـلانيين يتحدثون عن الوظائف (أي الأعمال التي يقوم بها الأبطال) أو الحوافز، أي الوحدات المعنوية التي لا تقبل التجزيء. وهذا يعني أن الإديولوجية باعتبارها أيضاً مُكَوَّنَة من وحدات معنوية تدخل إلى الرواية كمؤسس جمالي بنائي فيها. لذلك فالحـديث عن الإديولـوجيا في الـرواية ـ وأقول في الرواية ـ لا يدخل في الواقع إلا في إطار الكلام عن بنية الرواية في إطار الفهم.

لقد أهمل، أو على الأصح لقد ألغى «باختين» مستوى آخر للكلام عن الإديولوجيا، ذلك **أنه تحدث فقط عن الإديولوجيا في الرواية، ولكنه لم يتحدث عن الرواية كإديولوجيا.**

إن الرواية إذا كانت تجعل الإديولوجيـا مادة لبنـاء عالمهـا، فإنها هي نفسهـا تعتبر إسهـاماً إديولوجياً، فأين يكمن هذا الإسهام...؟

إن الجواب عن هذا السؤال لا ينفع فيه الكلام عن الحوارية الروائية أو التناص الروائي، فكل هذه الأشياء متصلة بالإديولوجيات في النص، أي ببناء الرواية. إن الأمر يتطلب تجـاوز التحليل البنائي إلى استخلاص غائية هذا البنـاء نفسه، وإظهـار مدى إسهـامه الجـديد حتى ضمن الإديولوجيات التي تدخل في بناء كيانه الخاص، باعتبارها أيضاً إديولـوجيات كـائنة في الواقع، فإذا قلت إن هذه الإديولوجيات الموجودة في الرواية تتحاور وتتقاطع في الـوقت نفسه مع الإديولوجيات الموجودة في الـواقع، فـأنا فـي هـذه الحالـة ـ على الـرغم من كل شيء ـ لا أتجـاوز تحليل البنيـة الداخليـة للعمل الـذي أدرس، وفي أحسن الأحوال سـأقـابـل بصـورة ميكانيكية بين مكونات النص ومكونات الـواقع، غيـر أنه في الـوقت الذي أجعـل النص ـ ككـل ـ إلى جانب إديـولوجيـة ما، فـأنا عنـدئذ أخـرج إلى نطاق تحليـل البنية التي تفسـر